الأسلوب–دراسة تأصيلية–

وسنعالج هذه الزاوية من خلال النقاط التالية:

1:تعريف الأسلوب لغة واصطلاحا

2–الأسلوب عند العرب القدامى

3–الأسلوب عند المحدثين

1– الأسلوب:

–لغة: " يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب... الأسلوب الطريق والوجه والمذهب... يقال أنتم في مذهب سوء... ويجمع أساليب الأسلوب بالضم: الفن... يقال أخذ فلان في أساليب من القول؛ أي أفانين منه "[1].

– وأورد "الزمخشري" في معجمه "أساس البلاغة" ما يلي:

" سلبه ثوبه وهو سليب، وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى، ولبست الثكلى السُلاب وهو الحداد، وتسلبت وسلبت على ميتها فهي مسلب والإحداد على الزوج، والتسليب عام وسلكت أسلوب فلان طريقته وكلامه على أساليب حسنة، ومن المجاز: سلبه فؤاده وعقله وأستلبه وهو مستلب العقل "[2].

[1] ابن منظور، لسان العرب،مادة" سلب" مج: 3،ص 2057.

[2] الزمخشري،أساس البلاغة، مادة"سلب" ص304.

وذكر الفيومي في معجمه "المصباح المنير"مايلي: " الأسلوب بضم الهمزة:الطريق والفن، وهو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم "[1].

ومن خلال التعريفات اللغوية نجد أن أبسط مفهوم للأسلوب هو الطريق.

تعريف الأسلوب اصطلاحا:ويمكننا أن نقف على ذلك من خلال الدراسة التأصيلية لمفهوم الأسلوب عند العرب والغرب،وهو ما سيتكفل به المحور الثاني من هذا الفصل.

2– الأسلوب عند العرب القدامى

– اصطلاحا:إن الحديث عن الأسس الجمالية في الأعمال الفنية عند العرب قد كان منذ القدم؛ فقد كان حديثهم عن الألفاظ وبنائها، والجمل وتراكيبها من أهم الركائز المعتمدة في الحكم على الشعر.

ولهذا فإن الأسلوب كإجراء لم يكن يحتاج عندهم إلى تعريف؛ إذ هو من الأمور البديهية عندهم.

ويمكننا استجلاء ذلك من خلال المقتطفات الآتية:

[1]الفيومي، المصباح المنير، تح:عبد العظيم الشناوي،دار المعارف،القاهرة،مادة (سلب) :ص108

ذكر ابن قتيبة مصطلح الأسلوب في كتابه تأويل مشكل القرآن ، حيث يقول:" إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب **وافتتانها في الأساليب،** خص به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجاز ما أوتيته العرب"[1]

وذكر الباقلاني مصطلح الأسلوب في خضم حديثه عن نظم القرآن فيقول:"وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه ،خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن **أساليب الكلام المعتاد**"[2] "

ولعل من كلامهما يتبين لنا أنهما يستعملان معنى الأسلوب على أساس أنه الطريقة الخاصة في النظم، وهو ما نلمحه بصورة صريحة عند عبد القاهر الجرجاني حين يقول فيه:

هو" الضرب من النظم والطريق فيه "[3]

1 ابن قتيبة:أبو محمدعبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن تحقيق السيد أحمد صقر،مكتبة دار التراث القاهرة،مصر،ط2، 1973 ص 3

2الباقلاني، إعجاز القرآن ص35

[3] عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز، ص469.

وأما "أبو حازم القرطاجني" فيعرف الأسلوب بقوله: "إن **الأسلوب** هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية، وإن النظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية، وإن الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ "1.

وهذه نقطة مخالفة لما رأيناه عند عبد القاهر الجرجاني والباقلاني وابن قتيبة ؛فهو يفرق بين الأسلوب والنظم؛إذ يختص الأسلوب بالمعنى بينما يختص النظم باللفظ .

وأما ابن خلدون فقد ذكر الأسلوب في فصل صناعة الشعر ووجه تعلمه فيقول: " عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب (أي النحو) ولا باعتبار إفادته كمال للمعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة العروض إنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب منتظمة كليا باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصّها فيه رصًّا"2

[1] القرطاجني،منهاج البلغاء،نقلا عن: محمد كريم الكوّاز، علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات، جامعة السابع من أبريل، ليبيا،ط1، 1426،ص 19

[2] ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة،دار الجيل، بيروت ص: 631.

ومن خلال هذا القول نجد أن مفاهيم الأسلوب عنده تتلخص في النقاط التالية[1]

-إن الأسلوب قالب تنصب فيه التراكيب اللغوية.

-إن الأسلوب صورة ذهنية للتراكيب يخرجها كالقالب أو المنوال.

- الأسلوب يتنوع بتنوع الموضوعات فأسلوب الشعر يختلف عن أسلوب النثر، وأسلوب الفخر غير أسلوب الهجاء...الخ.

وإذا كان الأسلوب عند "ابن حازم القرطاجني" مقابلا للنظم؛ إذ يشمل النص الأدبي كلّه ويتحدد بتأليف المعاني، في حين يبتعد عن مفهوم الأسلوب بوصفه خصائص فردية، فإننا نجد "ابن خلدون" أيضا قد سار على الطريق نفسها التي سار عليها "القرطاجني" إذ يجعل من الأسلوب متعلقا بالمعاني وعبارة عن مناهج للغة الفنية[2].

3-الأسلوب عند المحدثين

ب: الأسلوبية.

[1] ينظر: محمد عبد المطلب، أدبيات البلاغة والأسلوبية، دار لونجمان للنشرط1، 1994، ص 34.

[2] ينظر: شكري عياد، مبادئ علم الأسلوب العربي، انتر ناشيونال برس،ط 1، 1988، ص19، 20.

لقد تم تعريف الأسلوبية انطلاقا من بعض عناصر العملية التواصلية؛ إما الباث أو المرسل أو المتكلم، وإما النص أو الخطاب، وإما المتلقي .

ويمكننا توضيح ذلك من خلال ما يلي:

التعريف الأول : باعتبار المرسل أو المخاطِب:

يعد الأسلوب تعبيرا كاملا عن شخصية صاحبه ؛ فهو يعكس أفكاره وكل تصوراته، وهو ما نجده عند الناقد الفرنسي " بوفون " Buffon حيث يقول : " الأسلوب هو الرجل" .فهو عنده"لوحة الإسقاط الكاشفة لمخبآت الإنسان ما ظهر منها وما بطن...وجسر إلى مقاصد صاحبه من حيث إنه قنوات العبور إلى مقومات شخصيته لا الفنية فحسب،بل الوجودية مطلقا"[1] وأكثر من ذلك؛ فهو الحامل"لأفكار الكاتب وعواطفه، فيتعذر – لذلك –انتزاعه أو تحويله أو سلخه"2

كما تبنى طرح بوفونBuffon العديد من الدارسين والنقاد ومنهم" سينيك " الذي يعرفه بقوله: الخطاب هو سمة الروح"3

التعريف الثاني : باعتبار الخطاب

[1] عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 1983 ص63

[2] ن م،ن ص

[3]عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص63

ينطلق هذا التعريف من فكرة التفريق بين اللغة والكلام، فيعتبر الأخير أي الكلام هو الأداء الفردي للغة، وهو على مستويين:الكلام العادي المقصود منه الإبلاغ فقط. والكلام الأدبي والذي يرتقي من الاستخدام العادي إلى الاستخدام الأدبي وهو مجال الدراسة الأسلوبية.

ونجد هنا كلا من :

تعريف" شارل بالي "الذي حصره في "تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي إلى حيز الوجود اللغوي"1.

وتعريف" رومان جاكبسونRoman Jakobson حيث يعرفه بقوله:" الوظيفة المركزية المنظمة للخطاب"2

وتعريف" رولان بارتRoland barthes " الأسلوب لغة مكتفية بذاتها، ولا تغوص إلا في الأسطورة الشخصية للكاتب، كما تغوص المادة التحتية للكلام، حيث يتشكل أول زوج للكلمات والأشياء"3

وهناك من يعتبره مجرد زينة ومنهم ستندالSten bhal الذي يقول:" الأسلوب هو أن تضيف إلى فكر معين جميع الملابسات الكفيلة لإحداث التأثير الذي

---

[1] نفسه ص85

[2] شوقي علي الزهرة، الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري، مكتبة الآداب، القاهرة ، ص48

[3] بير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، تر:منذر عياشي،مركز الإنماء القومي، بيروت ص70

ينبغي لهذا الفكر أن يحدثه"1 ويعارضه مارسيل بروست Marcel proustبقوله: إن الأسلوب ليس بأية حال زينة أو زخرفة كما يعتقد بعض الناس، كما أنه ليس مسألة تكنيك، إنه مثل اللون في الرسم، إنه خاصية الرؤية تكشف عن العالم الذي يراه كل منا دون سواه"2

التعريف الثالث : باعتبار المتلقي والمخاطب

وهو التعريف الذي يأخذ بعين الاعتبار المتلقي؛ حيث يراعي حالته النفسية ومستواه الثقافي والاجتماعي ، حتى يحدث تفاعلا بينه وبين النص . ورفضه هو الأساس في الحكم .

ونجد في هذا الصدد تعريفات كل من:

تعريف" سيدلر"Seidler حيث يقول" أثر عاطفي يحدث في نص ما بوسائط لغوية"3.

وتعريف ريفاتير"Michael Riffaterre " الذي يرى أن الأسلوب" يتكون من تأسيس نمط معين من الانتظام اللغوي الذي يؤدي إلى إثارة توقعات القارئ"1

---

[1] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق،مصر ،ط1، 1998 ص99

[2] نفسه،ص96

[3] نفسه، ص98